مركز الحبتور للأبحاث

سراب الجغرافيا الآمنة: كيف أصبحت المناطق العازلة عبئاً عسكرياً على إسرائيل

تقديرات استراتيجية

يونيو 2026

شـهدت منطقـة الشـرق الأوسـط تغيـرات عميقـة فـي طبيعتهـا الأمنيـة والجيوسياسـية عقـب الأحداث الكبرى التي بدأت مع السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣ وامتدت وتيرتها حتى عام ٢٠٢٦. وفي قلب هـذه التغيـرات، بـرز تحـول جـذري فـي العقيـدة العسـكرية الإسـرائيلية. فبعـد أن كانـت إسـرائيل تعتمـد لسـنوات طويلـة على الهجمـات الاستباقية السـريعة والتقنيات العالية للدفاع عـن بُعـد دون الحاجة للسيطرة الدائمة على أراض جديدة، تسببت الاختراقات غير المسبوقة لحدودها في تغيير هذه الاستراتيجية تماماً. فقد اتجهت إسرائيل اليوم نحو السيطرة الفعلية والمادية على أجزاء من الأراضي العربية، وبدأت في بناء حزام واسع ومتصل من المناطق العازلة، شمل قطاع غزة في الجنوب، وجنوب لبنان في الشمال، وصولاً إلى هضبة الجولان السورية.

تاريخياً، كانت المناطق العازلة تُعرف بأنها مساحات هادئة ومنزوعة السلاح تهدف إلى الفصل بين الأطراف المتنازعة لمنع الاحتكاك. لكن إسرائيل أعادت صياغة هذا المفهوم كلياً، وحوّلت هذه المناطق إلى أدوات للسيطرة الأمنية المطلقة. وتهدف من خلال ذلك إلى خلق مساحات عسكرية محصنة تمنحها عمقاً استراتيجياً، وتقضي على التهديدات الحدودية والأنفاق، وتُبعد ساحة المعركة تماماً عن مدنها ومراكزها السكانية. ورغم وضوح هذه الأهداف، إلا إن هذا التوجه يضع المخططين العسكريين الإسرائيليين أمام ورطة حقيقية: فإبقاء قوات كبيرة من المشاة والمدرعات بشكل دائم داخل مناطق معادية ومضطربة، يهدد بتحويل هذه الأحزمة التي يُفترض بها أن تكون آمنة إلى ساحات استنزاف عسكري مستمر ومكلف. وينطلق هذا التحليل ليطرح تساؤلاً جوهرياً ومحورياً: هل تُمثل هذه الأشرطة الحدودية طوق أمان حقيقي يضمن بقاء إسرائيل وأمنها على المدى الطويل، أم أنها تحولت بالفعل إلى فخ يستنزف قدراتها يوماً بعد يوم؟

1. عسكرة الجغرافيا المحايدة

لفهم الكيفية التي يستخدم بها الجيش الإسرائيلي المناطق العازلة في الوقت الراهن، يجب علينا أولاً أن نعود بالزمن لنتتبع القصة الحقيقية لهذه الفكرة وكيف تطورت بمرور الوقت. فمنذ القدم، استخدمت الدول الجغرافيا والمساحات الأرضية كدروع لحماية نفسها، وهذا أمر معتاد في دهاليز السياسة الدولية، لكن طريقة تطبيق هذه الفكرة على أرض الواقع تغيرت بشكل جذري عبر فترات الحروب المختلفة لتأخذ أشكالاً أكثر تعقيداً.

بدأت فكرة المناطق العازلة تظهر بوضوح في أوروبا خلال القرن الثامن عشر كحل مثالي للحفاظ على توازن القوى. في ذلك الوقت، كانت هذه المناطق تُعرف ببساطة على أنها مساحات جغرافية أو كيانات تقع بين قوتين عظميين متنافستين، وكان الهدف من وجودها هو منع الصدام المادي المباشر بينهما وتقليل فرص اندلاع حروب مدمرة. كانت هذه المساحات تُترك خالية تماماً من السلاح والقوات العسكرية بناءً على اتفاق بين الأطراف المتنازعة، وكانت تتبنى سياسة محايدة جداً لضمان بقائها الهش. ومن أبرز الأمثلة التاريخية على ذلك بولندا وتشيكوسلوفاكيا اللتان وقعتا في موقف حرج بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الأولى، وكذلك لبنان الذي كان يُعتبر لفترة طويلة منطقة عازلة وهشة تتنازع عليها سوريا وإسرائيل.

لكن التاريخ العسكري يكشف لنا حقيقة مختلفة تماماً عن هذه النظريات؛ فالمناطق العازلة والمنزوعة السلاح نادراً ما نجحت في الحفاظ على السلام، بل كانت في كثير من الأحيان سبباً في اندلاع الصراعات. فقد أثبتت التجارب أن هذه المناطق تتعرض للغزو والاحتلال والدمار أكثر من غيرها بكثير، والسبب في ذلك واضح، فهي تمثل بطبيعتها "فراغاً في السلطة" وحالة من الضعف المغري. هذا الفراغ يجعل القوى الكبرى المحيطة بها تشعر دائماً بضرورة استراتيجية للسيطرة عليها بشكل استباقي، انطلاقاً من مبدأ أنه إذا لم تسيطر هي عليها، فإن الطرف الأخر سيفعل ذلك حتماً. وبسبب هذا الخوف المتبادل، تتحول هذه المناطق التي صمُمت لتكون واحات للسلام إلى نقاط ضعف هيكلية وساحات دموية لتصفية الحسابات.

أما اليوم، وفي ظل الحروب المعاصرة التي غالباً ما تدور بين جيوش نظامية وجماعات مسلحة، فقد تغير مفهوم المنطقة العازلة وطريقة تطبيقها رأساً على عقب. فلم تعد هذه المناطق مجرد مساحات محايدة ومنزوعة السلاح تحظى باحترام متبادل لفصل القوات، بل تحولت إلى أداة تُفرض بالقوة من طرف واحد لضمان الهيمنة والسيطرة الأمنية. فبدلاً من إبقائها خالية من السلاح تحت إشراف دولي، أصبحت القوى العسكرية المتفوقة تحتل هذه الأطراف الحدودية وتحولها إلى ثكنات مدججة بالسلاح، وذلك في محاولة أحادية الجانب لعزل أراضيها وحمايتها من أي تهديدات مفاجئة أو غير تقليدية قد تعبر الحدود.

2. دوافع وأبعاد استراتيجية

لا يُمثل التوسع الإسرائيلي المندفع نحو بناء المناطق العازلة مجرد رد فعلٍ على صدمة السابع من أكتوبر لعام ٢٠٢٣، بل هو قرارٌ مدروس واستجابة هيكلية للتآكل العميق الذي أصاب نظرياتها ونماذجها الأمنية التقليدية. فعند تفكيك هذه العقيدة العسكرية المعاصرة، يتضح أن إسرائيل تسعى من خلال هندسة هذه الأحزمة الأمنية إلى تحقيق أهداف محددة؛ إذ يكشف هذا التحليل عن أربع دوافع استراتيجية رئيسية تقود هذا التوجه وهي:

أولاً: تُعاني إسرائيل في جوهرها من أزمة حقيقية تتمثل في الافتقار إلى ما يُعرف عسكرياً بـ "العمق الاستراتيجي"، وهو المسافة المكانية التي تفصل بين خطوط المواجهة أو الحدود من جهة، وبين المدن الرئيسية والمراكز الصناعية والبنى التحتية الحيوية من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال، المسافة بين الحدود القديمة وساحل البحر المتوسط لا تتعدى أميالاً معدودة في أضيق نقاطها. ولتعويض هذا النقص الحاد في المساحة، بنت إسرائيل عقيدتها العسكرية لعقود طويلة على مبدأ الهجوم والضربات الاستباقية السريعة، ونقل المعركة فوراً إلى أراضي الخصم لتحقيق انتصارات سريعة وحاسمة. إلا أن عمليات التسلل والاختراقات الحدودية غير المسبوقة التي تعرضت لها مؤخراً أسقطت هذه النظرية، وكشفت عن الهشاشة الكارثية للاعتماد المطلق على التكنولوجيا المتطورة والجدران الذكية والاستخبارات، دون وجود مسافة حقيقية وعمق جغرافي يحمي الداخل.

وأمام هذا الفشل المروع للأسوار التكنولوجية، وجد الجيش الإسرائيلي نفسه مضطراً للعودة إلى الأساليب العسكرية الكلاسيكية والتقليدية المتمثلة في السيطرة الفعلية على الأرض. فأصبح الهدف الآن هو خلق "عمق استراتيجي" بديل، وذلك من خلال دفع الحدود العسكرية لعدة كيلومترات داخل أراضي جيرانها. الفكرة الأساسية وراء هذا التحرك هي أن السيطرة على شريط أمني داخل أراضي الخصم ستُجبر أي هجوم مستقبلي مباغت على استنزاف طاقته الأولى وعنصر المفاجأة لديه داخل هذه المنطقة العازلة. ومن الناحية النظرية، يُفترض أن تمنح هذه المساحة الجغرافية الجديدة الجيش الإسرائيلي الوقت الكافي لالتقاط الأنفاس، واستدعاء قوات الاحتياط، والتصدي للهجوم قبل أن يتمكن من اختراق الحدود والوصول إلى التجمعات السكنية.

ثانياً: إلى جانب البحث عن المساحة الجغرافية لحماية الداخل، يبرز دافع استراتيجي آخر لا يقل أهمية في تحريك عقيدة المناطق العازلة، وهو السعي الحثيث للسيطرة على التضاريس المرتفعة والتلال الحاكمة لتوسيع مدى وقدرات أنظمة الإنذار المبكر. ففي عالم الحروب المُعقد، وبخاصة في مجالات الحرب الإلكترونية، ورصد الإشارات، وتحديد الأهداف، يُعتبر الارتفاع المادي وخط الرؤية المباشر شرطين أساسيين لتحقيق التفوق العملياتي. وتوفر المناطق العازلة، لا سيما في تضاريس هضبة الجولان - جبل الشيخ- وجبال جنوب لبنان الوعرة، للجيش الإسرائيلي منصات مثالية لا غنى عنها لجمع المعلومات؛ إذ يتيح التواجد الدائم فوق هذه القمم اختراقاً عميقاً ومستمراً لشبكات الاتصالات في أراضي الخصم، مما يمنح إسرائيل قدرة حيوية على التنبؤ بالهجمات الوشيكة قبل وقوعها، فضلاً عن تسهيل توجيه الذخائر الذكية والصواريخ الدقيقة التي تتطلب رؤية واضحة ومكشوفة لتصيب أهدافها بنجاح.

ثالثاً: رغم أن الجيوش الحديثة باتت تعتمد بشكل متزايد على طائرات الاستطلاع بدون طيار وطائرات الإنذار المبكر المحمولة جواً لتوفير المعلومات، إلا أن هذه الوسائل الجوية تواجه قيوداً وعقبات شديدة تمنعها من تعويض القواعد الأرضية الثابتة. فهذه الطائرات والمسيّرات تعجز تماماً عن حمل الهوائيات الضخمة والبنية التحتية الثقيلة التي يمكن تثبيتها فوق منشأة جبلية راسخة، كما أنها لا تستطيع الطيران بشكل متواصل على مدار الساعة طوال أيام السنة دون توقف، فضلاً عن كونها عرضة للاستهداف والإسقاط في أي لحظة بواسطة منظومات الصواريخ المضادة للطائرات التي يمتلكها الخصم. ولهذا السبب، تظل المنطقة العازلة المادية الممتدة على الأرض والمرتفعة فوق خطوط العدو، هي الركيزة الأساسية والقلب النابض لجهاز الاستشعار والاستخبارات الإسرائيلي.

رابعاً: ثمة دافع تكتيكي، وربما يكون الأكثر إلحاحاً وخطورة وراء إصرار إسرائيل على إنشاء هذه المناطق العازلة، وهو الرغبة في تحييد الأسلحة والقدرات المتطورة التي طورتها الجماعات المسلحة مثل حماس وحزب الله والجهاد الإسلامي على مدار العقدين الماضيين. فهذه التنظيمات نجحت في تقويض التفوق العسكري التقليدي للجيش الإسرائيلي عبر ابتكار تهديدات هجينة ومتعددة الأبعاد تعبر الحدود، وهي تهديدات عجزت القوات الجوية وحدها عن القضاء عليها. ويأتي على رأس هذه التحديات شبكات الأنفاق الضخمة والمعقدة تحت الأرض، والتي تحولت إلى شرايين حيوية لنقل الإمدادات، ومراكز محصنة للقيادة والسيطرة، ومنصات مخفية لإطلاق الصواريخ تتيح للمقاتلين الصمود تحت القصف الجوي العنيف وتجاوز الجدران الحدودية التقليدية. وهنا تصبح المنطقة العازلة ضرورة أمنية من وجهة نظر إسرائيل، لأنها توفر المساحة الجغرافية الآمنة واللازمة لوحدات الهندسة القتالية التابعة للجيش الإسرائيلي كي تنشر أجهزة الرادار الأرضية وتقنيات الاستشعار الزلزالي، وتقوم بعمليات الهدم المنهجية والمكلفة للوقت لهذه القلاع المدفونة في باطن الأرض.

ولا يتوقف الأمر عند التهديدات التحت أرضية، بل يمتد لمواجهة خطر الصواريخ الموجهة والمضادة للدروع، والتي تعتمد على خط الرؤية المباشر وتستهدف الدوريات العسكرية والمستوطنات الحدودية بدقة فتاكة. ولإحباط هذا الخطر، يعمد الجيش الإسرائيلي من خلال المنطقة العازلة إلى ممارسة سياسة تجريف واسعة تشمل إزالة البساتين، والغطاء النباتي، وهدم المباني المدنية على امتداد عدة كيلومترات، مما يؤدي إلى إعادة هندسة تضاريس المنطقة بالكامل وحرمان المقاتلين من أي غطاء طبيعي أو عمراني يتيح لهم رصد الأهداف واصطيادها، وهو ما يؤدي فعلياً إلى "إعماء" قوات المقاومة وشل قدرتها على استخدام الصواريخ قصيرة المدى.

بالتوازي مع ذلك، واستخلاصاً للدروس من التاريخ الحديث، تهدف هذه المساحات الجافة والمكشوفة إلى منع أي حشود أو توغلات برية جماعية لمجموعات المشاة غير النظامية المدربة على اقتحام الحدود. إذ يتيح غياب أي ساتر طبيعي، مدمجاً بأنظمة المراقبة والتحكم الآلي في إطلاق النار، تحويل الشريط الحدودي إلى منطقة استهداف قاتلة يستحيل عبورها، حيث يُرصد أي تحرك بشري ويُحيد فوراً قبل أن يتمكن من الاقتراب أو تحقيق عنصر المفاجأة.

3. تكتيكات الفصل الجغرافي

لا تُطبق إسرائيل فكرة المنطقة العازلة بأسلوب واحد على جميع حدودها، بل تفصلها وتكيفها بما يتناسب مع طبيعة الأرض والسكان وحجم التهديد في كل جبهة. وتكشف المتابعة الدقيقة لجبهات القتال الثلاث في قطاع غزة وجنوب لبنان وهضبة الجولان السورية، عن تنفيذ مُعقد لهذه الاستراتيجية العسكرية.

فهذا التطبيق خلق حلقة متصلة وواسعة من المناطق العازلة التي بدأت تغير شكل حدود الشرق الأوسط فعلياً، حيث يتم تقطيع أوصال قطاع غزة عبر ممرات استراتيجية، بينما تتوسع السيطرة في جنوب لبنان لتتجاوز الحدود المتعارف عليها، وصولاً إلى السيطرة المفتوحة على المناطق منزوعة السلاح التابعة للأمم المتحدة في سوريا.

إعادة رسم خريطة غزة بالممرات العسكرية

في ظل الكثافة السكانية الهائلة التي يتميز بها قطاع غزة، لم تكتف الاستراتيجية الإسرائيلية بمجرد تأمين السياج الحدودي. فبعد انهيار الهدنة في أواخر عام ٢٠٢٣ وعودة القتال، سعت إسرائيل بوضوح إلى تغيير خريطة القطاع بالكامل. ومن خلال أوامر الإخلاء الواسعة والتدمير الممنهج للبنية التحتية، حول الجيش الإسرائيلي نحو ٧٠٪ من مساحة غزة إلى مناطق عسكرية أو ساحات إخلاء إجباري، مما يعني عملياً تقليص مساحة القطاع وتمزيقه من الداخل. وتعتمد هذه الخطة بشكل أساسي على شق طرق وممرات عرضية وطولية شديدة التحصين تقسم غزة بشكل دائم، مما يمنح الجيش الإسرائيلي سيطرة خانقة على مناطق معزولة تماماً عن بعضها البعض.

مُخطط توضيحي للمحاور العسكرية والمناطق العازلة في قطاع غزة

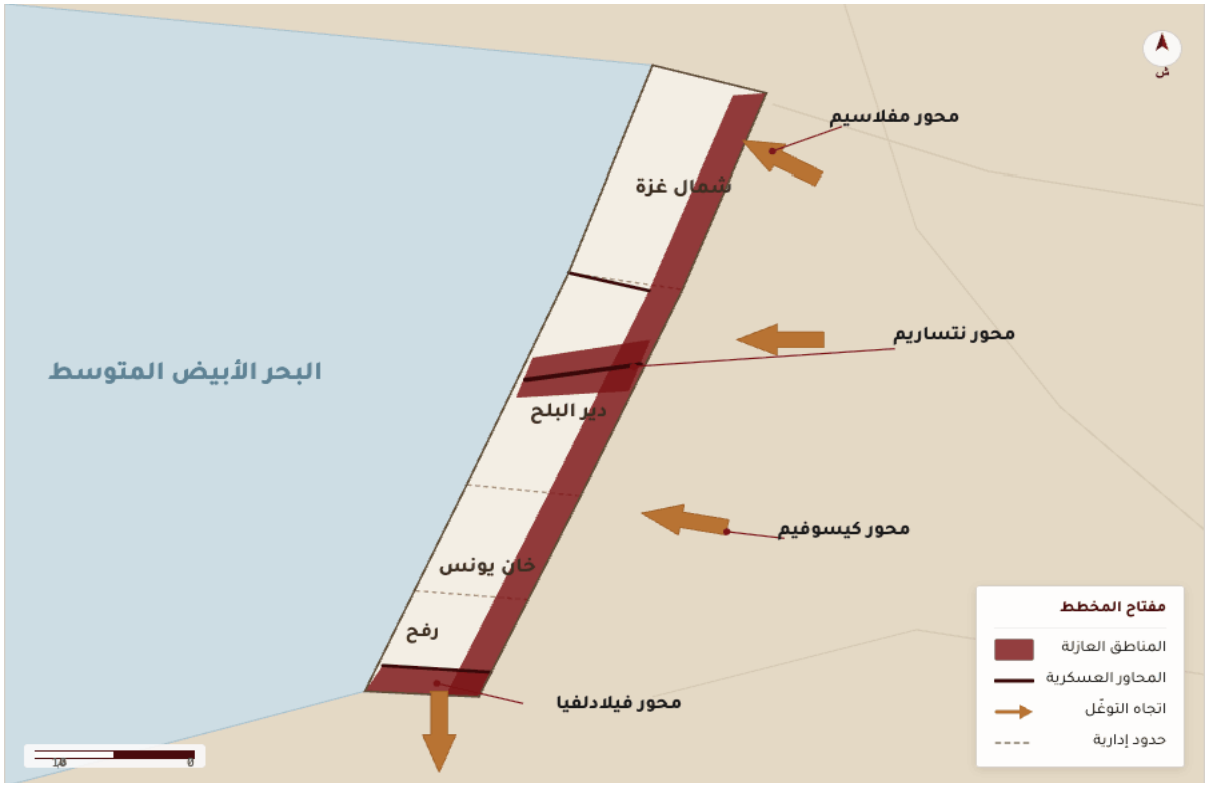

وتبرز في هذه الخطة الجغرافية ثلاثة شرايين رئيسية للتقسيم؛ أولها ممر نتساريم، وهو شريط عسكري محصن يمتد لنحو ست كيلومترات من الحدود شرقاً حتى ساحل البحر المتوسط غرباً، ليقسم القطاع ويفصل مدينة غزة وشمالها المكتظ عن مناطق الجنوب، مما يتيح للجيش الإسرائيلي التحكم في حركة مئات الآلاف من النازحين وعزلهم. وثانيها ممر فيلادلفيا، وهو شريط رملي ضيق وحيوي يمتد على طول الحدود مع مصر، ورغم كونه منطقة منزوعة السلاح بموجب اتفاقيات سابقة، إلا أن إسرائيل فرضت سيطرتها العسكرية عليه في منتصف عام ٢٠٢٤ لإحكام الحصار ومنع أي إمدادات عسكرية عبر الأنفاق. أما الشريان الثالث فهو ممر موراغ، الذي استُحدث مؤخراً لفصل مدينتي رفح وخان يونس جنوباً، حيث استخدمت القوات الإسرائيلية الجرافات والمتفجرات لمسح المباني والأراضي بهدف قطع خطوط الاتصال بين المجموعات المسلحة في تلك المناطق النائية.

ولا يقتصر الهدف من هذا التقسيم المُعقد على تحقيق مكاسب عسكرية مؤقتة، بل يمتد ليكون استراتيجية شاملة لتفتيت الأرض وحرمان المقاتلين من أي خطوط إمداد، وتقييد حركة المدنيين وشل القدرات الإدارية والعسكرية. وبالتوازي مع هذا التقطيع الداخلي، فرض الجيش الإسرائيلي شريطاً أمنياً محظوراً يمتد لكيلومتر أو أكثر داخل حدود غزة. ولضمان رؤية مفتوحة ومكشوفة خالية من أي عوائق قد تخفي متسللين، كما لجأت القوات الإسرائيلية إلى تكتيكات مدمرة شملت استخدام طائرات تحلق على ارتفاعات منخفضة لرش مبيدات كيميائية قوية على الأراضي الزراعية الفلسطينية، مما أدى إلى تدمير محاصيل حيوية كالقمح والشعير، وحرمان المزارعين من مصادر رزقهم ودفعهم نحو خسائر فادحة.

ولم تتوقف الإجراءات الميدانية عند هذا الحد، بل واصل الجيش الإسرائيلي استخدام آلياته الهندسية الثقيلة لتسوية المنازل والدفيئات الزراعية والبنى التحتية بالأرض داخل هذه المناطق الحدودية، محولاً إياها إلى مساحات قاحلة وساحات استهداف محظورة لا يُسمح بالاقتراب منها. وبالتالي النتيجة الكارثية لهذه السياسة المتمثلة في التهام الأراضي وتقسيم ما تبقى منها، هي وضع ملايين المدنيين النازحين في بقع جغرافية تضيق يوماً بعد يوم وتفتقر لأدنى مقومات الحياة، مما يزيد من تعقيد ومأساوية أزمة إنسانية غير مسبوقة.

استغلال الفراغ الأمني السوري

تقدم الجبهة السورية صورة مختلفة تماماً لتطبيق فكرة المنطقة العازلة، بعيداً عن صخب المدن والبيئات المكتظة بالسكان كما هو الحال في غزة. فمنذ توقيع اتفاقية فض الاشتباك في عام ١٩٧٤ بعد حرب أكتوبر، كانت هناك منطقة منزوعة السلاح تفصل بين القوات الإسرائيلية والسورية في مرتفعات الجولان، وذلك تحت إشراف تام من قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة. وقد وفر هذا الترتيب الدبلوماسي استقراراً طويلاً ومريحاً، حيث استغلت إسرائيل موقعها الجغرافي المرتفع، وتحديداً قواعدها شديدة التحصين على قمم جبل الشيخ، لتكون بمثابة عين ساهرة وجهاز إنذار مبكر متطور. ومن خلال هذه المرتفعات الشاهقة، تمكنت إسرائيل من مراقبة مساحات شاسعة من الأراضي السورية، والتنصت وتتبع تحركات الجيش السوري والمجموعات المسلحة عن كثب، لضمان عدم تكرار كابوس الهجوم المفاجئ الذي تعرضت له سابقاً.

لكن هذا الهدوء الطويل والمستقر تبخر فجأة مع الانهيار السريع والمفاجئ لنظام بشار الأسد في أواخر عام ٢٠٢٤. فقد غرق الجنوب السوري في حالة من الفوضى العارمة والفراغ الأمني الخطير، حيث تفكك الجيش السوري النظامي تاركاً الساحة مفتوحة. وأمام هذا المشهد المضطرب، قرر الجيش الإسرائيلي التخلي عن اعتماده التاريخي على المنطقة العازلة التابعة للأمم المتحدة. وبحجة حماية أمنها القومي ومنع تمدد التهديدات من هذا الفراغ الفوضوي، نفذت إسرائيل عملية برية استباقية، ودفعت بقواتها العسكرية إلى عمق المنطقة التي كان يُفترض أن تخضع للرقابة الدولية وتكون خالية من السلاح.

مُخطط توضيحي للمناطق العازلة في مرتفعات الجولان

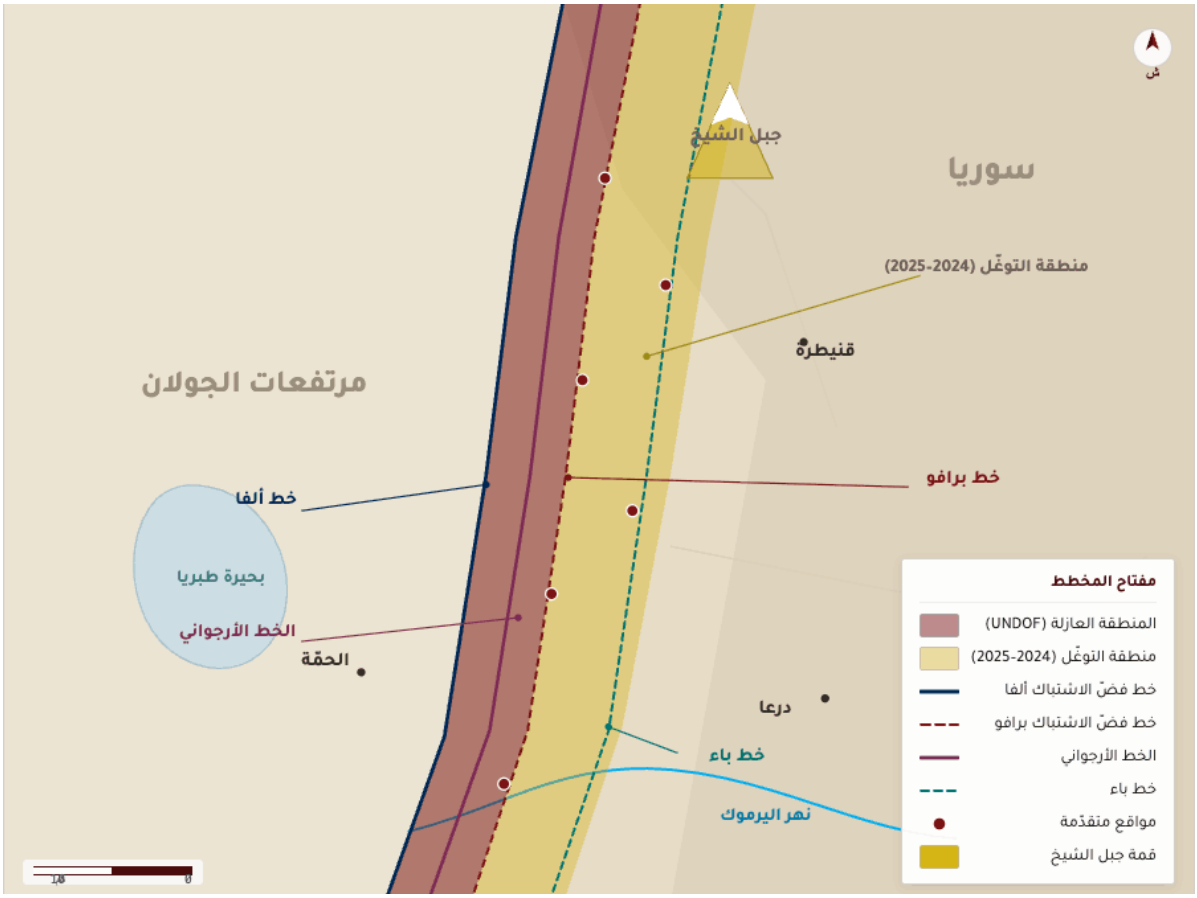

وبهذه الخطوة الجريئة، فرض الجيش الإسرائيلي سيطرته المباشرة على مساحات شاسعة تقدر بمئات الكيلومترات المربعة من الأراضي السورية، متجاهلاً تماماً وجود قوات حفظ السلام الدولية ومقيداً حركتها عبر نشر الحواجز ونقاط التفتيش. وقد أعلنت إسرائيل صراحة أن هذا التواجد العسكري الجديد ليس له إطار زمني محدد، مما حول حدود الجولان من مجرد نقطة مراقبة دولية هادئة إلى ساحة إدارة عسكرية نشطة وتحصينات عميقة. هذا التوسع المفاجئ يضع القوات الإسرائيلية اليوم أمام أعباء لوجستية وعسكرية هائلة، حيث تجد نفسها مضطرة لفرض سيطرتها بالقوة داخل بيئة معادية ومفككة تملؤها الفوضى، مما يؤدي إلى إطالة خطوط إمدادها وزيادة الضغط على قواتها، ليثبت من جديد أن الاندفاع نحو خلق هذه المناطق العازلة يسحبها تدريجياً نحو فخ استنزاف إقليمي متعدد الجبهات لا يقل خطورة عن غيره.

الانزلاق في مستنع الاستنزاف اللبناني

ولم تقتصر المناطق العازلة على قطاع غزة، بل امتدت إلى محاولة للتطبيق في جنوب لبنان لتعيد إلى الأذهان ذكريات مؤلمة وكابوساً عسكرياً قديماً لإسرائيل. ففي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٨٥ و٢٠٠٠، حينما فرضت إسرائيل سيطرتها على شريط حدودي أطلقت عليه اسم "المنطقة الأمنية"، وامتد في عمق الأراضي اللبنانية بمسافة تتراوح بين خمسة وعشرين كيلومتراً. كان أن الهدف من هذا التواجد العسكري حينها هو حماية المستوطنات الشمالية من الهجمات الصاروخية وعمليات التسلل التي كانت تنفذها الفصائل الفلسطينية في البداية، ثم تبناها لاحقاً حزب الله. وقد اعتمدت إسرائيل خلال تلك السنوات الخمس عشرة على تكتيك مختلف، حيث أوكلت مهمة الدوريات البرية والمواجهة المباشرة لميليشيا محلية عُرفت باسم "جيش لبنان الجنوبي"، بينما اكتفت بدعمها بعدد يتراوح بين ألف وألفي جندي من قوات النخبة الإسرائيلية.

ورغم هذا الجدار الدفاعي المزدوج، تحولت تلك المنطقة الأمنية تدريجياً إلى ساحة استنزاف مُكلفة. فقد تكبدت إسرائيل خسائر فادحة في الأرواح، حيث فقدت المئات من جنودها، وسقط مئات آخرون من عناصر الميليشيا الحليفة لها في مواجهات متواصلة وحرب عصابات مبتكرة قادها حزب الله. وأمام هذا النزيف العسكري المستمر الذي لم يحقق أي مكاسب استراتيجية تذكر، وتحت وطأة ضغط شعبي وسياسي داخلي متزايد، اضطرت الحكومة الإسرائيلية في شهر مايو من عام ٢٠٠٠ إلى اتخاذ قرار مفاجئ بالانسحاب من طرف واحد، تاركةً حلفاءها المحليين لمواجهة مصيرهم المجهول.

مُخطط توضيحي لخط الانتشار العسكري في جنوب لبنان

لكن هذه العودة تحمل في طياتها مخاطر وتداعيات أكثر كارثية من أي وقت مضى. فالجيش الإسرائيلي اليوم يواجه هذا المأزق وحيداً، مفتقراً لأي قوة محلية حليفة يمكن أن تتلقى عنه ضربات حرب الاستنزاف اليومية كما كان الحال في الماضي. والأخطر من ذلك هو أن الخصم قد تغير جذرياً؛ فحزب الله لم يعد مجرد مجموعة مسلحة تقليدية، بل تحول إلى جيش شبه نظامي يمتلك ترسانة هائلة ومخفية تحت الأرض من الصواريخ الدقيقة والمضادة للسفن والطائرات المسيرة المتطورة. وبمجرد دفع القوات الإسرائيلية بدباباتها وجنودها للتمركز الثابت في هذه المنطقة العازلة الجديدة، ومنع السكان اللبنانيين من العودة إلى قراهم، يكون الجيش الإسرائيلي قد سار بقدميه نحو فخ استنزاف محكم، مقدماً قواته كأهداف سهلة ومكشوفة لخصم يقاتل بضراوة على أرضه وبين تضاريسه التي يحفظها عن ظهر قلب، لتثبت هذه المغامرة من جديد هشاشة الرهان على المناطق العازلة في فرض الأمن بالقوة.

4. تحديات المناطق العازلة

يتطلب فهم نقاط ضعف المناطق العازلة الحديثة مراجعة أحداث عسكرية سابقة حملت الأهداف نفسها. يبرز "خط ماكنمارا" الذي أنشأته الولايات المتحدة خلال حرب فيتنام كمثال يوضح هذا الضعف. ظهر هذا الخط كبديل يعتمد على التكنولوجيا لتجنب الغزو البري. جاء هذا الحل بعد عدم نجاح حملات القصف الجوي. صممت القوات الأمريكية هذا الحاجز لمنع عبور المقاتلين الفيتناميين عبر المنطقة المنزوعة السلاح. اعتمدت الولايات المتحدة في هذا الخط على أجهزة الاستشعار الصوتية والزلزالية، والأسوار الكهربائية، وحقول الألغام، والقواعد الدفاعية الثابتة بدلاً من الأساليب المعتادة.
أخفق هذا الخط الدفاعي رغم التفوق التكنولوجي والجوي الأمريكي. يعود سبب الإخفاق إلى قدرة المقاتلين الفيتناميين على التعامل مع هذه الدفاعات الثابتة. تمكن المقاتلون من تجاوز أجهزة الاستشعار. حفر المقاتلون شبكات من الأنفاق تحت الحواجز. هاجم المقاتلون تلك القواعد أحياناً بقصف مدفعي متكرر. أظهرت التقارير الأمريكية بحلول شهر يناير من عام ١٩٦٨ زيادة أعداد المقاتلين الفيتناميين داخل المنطقة المنزوعة السلاح ومحيطها لتتجاوز أربعين ألف مقاتل. تجاوز المقاتلون الفيتناميون بذلك الجدار الدفاعي بالكامل.

تثبت هذه الأحداث عجز الحواجز المكانية الثابتة عن إيقاف الخصوم الذين يتبعون أساليب قتال غير معتادة رغم التطور التكنولوجي لتلك الحواجز. يفرض أي حاجز دفاعي ضرورة التواجد البشري الدائم لحراسة التكنولوجيا وصيانة الأسوار وتسيير الدوريات. يجعل هذا التواجد المستمر الجنود أهدافاً يسهل رصد تحركاتها واستهدافها. يتحول الحزام الأمني المخصص للحماية إلى موقع لحرب استنزاف طويلة بسبب ذلك. يتطابق هذا الوضع القائم على الاعتماد على التكنولوجيا الثابتة لمواجهة جماعات مسلحة مرنة، مع الأساليب الحالية التي يطبقها الجيش الإسرائيلي على امتداد حدوده.

وكرر الجيش الإسرائيلي الأسلوب نفسه بين عامي ٢٠٢٤ و٢٠٢٦. نفذت إسرائيل منتصف مارس من عام ٢٠٢٦ هجوماً برياً واسعاً على جنوب لبنان. جاء ذلك بعد تصعيد شمل أطرافاً دولية وإقليمية في أواخر فبراير من العام نفسه، وعودة حزب الله لإطلاق الصواريخ. استهدف هذا الهجوم إنشاء منطقة عازلة جديدة تشبه المنطقة المقامة في غزة. تجاوزت القوات الإسرائيلية "الخط الأزرق" الذي رسمته الأمم المتحدة لتصل إلى حدود جديدة تُسمى "الخط الأصفر". يمتد هذا الشريط في عمق لبنان لمسافة تصل في بعض المناطق إلى نهر الليطاني. يضع هذا الامتداد مئات الكيلومترات المربعة تحت السيطرة العسكرية الإسرائيلية المباشرة.

يعد تحويل هذه الأشرطة الحدودية إلى ساحات معارك نقطة ضعف رئيسية في خطط إسرائيل العسكرية الحالية. يفرض الانتشار الدائم للقوات داخل هذه المناطق تكاليف بشرية ومادية وإمدادية عالية. يضع هذا الانتشار الجيش الإسرائيلي في حالة استنزاف تتعارض مع طبيعة حروب المجموعات المسلحة الحديثة وقواعد القانون الدولي.

ويظهر هذا الضعف بوضوح في عام ٢٠٢٦ من خلال تطور أساليب القتال التي استخدمها حزب الله في جنوب نهر الليطاني. تقدم الجيش الإسرائيلي في الأراضي اللبنانية للسيطرة عليها. واجهت القوات الإسرائيلية أثناء هذا التقدم عدم قدرة منظومات الدفاع الجوي المكلفة مادياً، مثل القبة الحديدية ومقلاع داود، على التعامل مع أسلحة جديدة. نشر حزب الله طائرات مسيرة متفجرة رخيصة الثمن ومتاحة تجارياً. عدل الحزب هذه الطائرات وطورها بناءً على الأساليب المستخدمة في الحرب الروسية الأوكرانية. حولت ورش محلية هذه الطائرات إلى قذائف موجهة بدقة لاستهداف القوات البرية الثابتة.

تعتمد هذه الطائرات المسيرة على خيوط الألياف الضوئية. تتصل الطائرة بالشخص المشغل لها عبر سلك رفيع يمتد خلفها لمسافات تصل إلى عشرة كيلومترات. يعتمد هذا النظام على التوجيه السلكي بدلاً من الإشارات اللاسلكية أو نظام تحديد المواقع. يحمي هذا الربط السلكي الطائرات من منظومات التشويش التي يعتمد عليها الجيش الإسرائيلي. تتجاوز هذه الطائرات الرادارات بفضل محركاتها الكهربائية الصغيرة وطيرانها المنخفض. يتيح البث المرئي عالي الدقة للمشغلين توجيه الطائرات عبر الأشجار والمباني المدمرة لإصابة التحصينات الإسرائيلية وعربات الهامر بدقة.

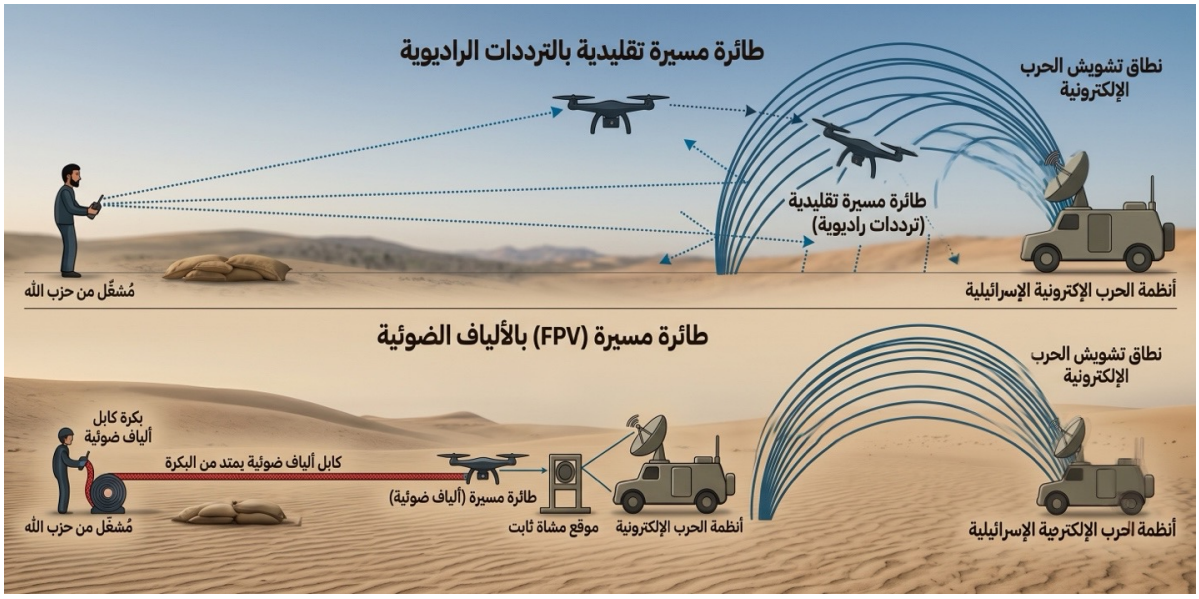

ووفر هذا التعديل التكنولوجي للمجموعات المسلحة قدرة هجومية جوية بتكلفة منخفضة. تستطيع طائرة مسيرة لا تتجاوز قيمتها ٣٠٠ دولار تدمير آليات عسكرية متطورة تساوي ملايين الدولارات. يسبب هذا الفارق خللاً كبيراً في حجم الخسائر المادية والبشرية. ظهرت نتائج استخدام هذا السلاح بوضوح في الأسابيع التي تلت وقف إطلاق النار في أبريل من عام ٢٠٢٦. أطلق حزب الله أكثر من ثمانين طائرة مسيرة خلال تلك الفترة. نجحت تلك الطائرات في إصابة أهدافها بدقة خمس عشرة مرة. تسببت هذه الهجمات في مقتل وإصابة عشرات الجنود والمدنيين.

لجأ الجيش الإسرائيلي إلى إجراءات دفاعية بسيطة نتيجة عدم القدرة على اعتراض هذه الطائرات بالوسائل المتطورة. ثبتت القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان شبكات حديدية فوق سيارات الهامر والمواقع الأمامية لاحتجاز الطائرات المسيرة قبل انفجارها. طلبت وزارة الدفاع الإسرائيلية آلاف الصناديق من ذخائر الشظايا وقذائف بنادق الصيد من الولايات المتحدة. تهدف هذه الذخائر إلى إطلاق رصاص كثيف في الهواء لإسقاط الأهداف السريعة. تحاول القوات إدخال مناظير بصرية إلكترونية لمساعدة الجنود في الرماية. يتعرض جيش نظامي متفوق تكنولوجياً لخسائر يومية داخل مواقع ثابتة رغم تلك المحاولات. يواجه هذا الجيش استنزافاً مستمراً أمام مجموعات سريعة الحركة قادرة على تحديد وقت الهجوم ومكانه.

وفي الختام، يمثل إعادة إحياء مفهوم المناطق العازلة وجعله في قلب العقيدة العسكرية الإسرائيلية مقامرة استراتيجية كبرى ستمتد آثارها لأجيال قادمة. فبعد الإخفاقات القاسية والمنهجية التي تعرضت لها نظريات الدفاع المتحرك والاعتماد على الجدران الحدودية والأسلاك الشائكة، والتي ظهرت عيوبها بوضوح في أحداث عام ٢٠٢٣، اندفعت إسرائيل في سعي محموم وراء سراب "العمق الاستراتيجي". هذا السعي قاد الجيش الإسرائيلي إلى التورط في إنشاء بقع عسكرية محصنة ومفتوحة زمنيًا في قطاع غزة وجنوب لبنان وهضبة الجولان السورية، ظنًا منه أن السيطرة على الأرض ستوفر الحماية المطلوبة للداخل.
ومع ذلك، فإن القراءة الدقيقة والواقعية لهذا المشهد العسكري تؤكد أن هذه المناطق تتحول بسرعة وحتمية من أحزمة أمنية موثوقة إلى فخاخ استنزاف قاتلة. إن فشل الولايات المتحدة التاريخي عند "خط ماكنمارا" في فيتنام، بالتوازي مع ذاكرة إسرائيل المريرة في الجنوب اللبناني بين عامي ١٩٨٥ و٢٠٠٠، يثبتان حقيقة عسكرية ثابتة؛ وهي أن خطوط الدفاع الثابتة التي تقام في مواجهة حركات مقاتلة تمتلك دوافع قوية وحاضنة شعبية، هي خطوط محكوم عليها بالاستنزاف ولا يمكن الحفاظ عليها لفترات طويلة دون أثمان باهظة.

وفي ظل الحروب الحديثة، أدى اندماج التكتيكات القتالية المرنة مع التكنولوجيا الرخيصة والمتقدمة، وخاصة الطائرات المسيرة الموجهة بالألياف الضوئية، إلى تجريد الجيش الإسرائيلي من تفوقه التكنولوجي التقليدي الذي كان يحتاجه لتأمين هذه المساحات. ونتيجة لذلك، فإن تثبيت جنود المشاة والدبابات الثقيلة في مواقع جغرافية مكشوفة ومتوقعة، قدم للمجموعات المسلحة دون قصد صيداً ثابتاً وفرصاً يومية للاستهداف، مما سمح لقوات المقاومة بالتحكم الكامل في وتيرة حرب استنزاف بطيئة ومستمرة تنزف فيها قدرات الجيش يوماً بعد يوم.

وفي الوقت نفسه، فإن السياسات القاسية التي تتبعها إسرائيل للحفاظ على هذه المناطق، مثل تجريف الأراضي وتدمير المحاصيل الزراعية والتهجير الجماعي للمدنيين، تضعها في صدام مباشر ومستمر مع مبادئ القانون الدولي الإنساني. هذه الديناميكية لا تؤدي فقط إلى عزل إسرائيل دبلوماسياً على الساحة الدولية، بل إنها تدفع السكان النازحين نحو مزيد من الغضب، مما يغذي حركات المقاومة بدماء جديدة ويقوض الشرعية الدولية التي تحتاجها إسرائيل للاستمرار في تحالفاتها وعملياتها العسكرية طويلة المدى.

في نهاية المطاف، أثبتت الوقائع أن السيطرة على الأرض لا تعني بالضرورة تحقيق الأمن؛ ففي عصر تهيمن عليه الحروب غير التقليدية متعددة الأبعاد، وشبكات الأنفاق المعقدة، والمسيرات الرخيصة التي تفلت من الرادارات وأنظمة التشويش، تصبح المنطقة العازلة المادية حلاً قديماً وعاجزاً أمام أزمة حديثة بالغة التعقيد. وبدلاً من أن تكون هذه الأحزمة درعاً يحمي المدن، فإنها باتت قيداً يكبل الجيش الإسرائيلي في صراع دائم ومنهك منخفض الحدة، مما يقودنا إلى استنتاج حاسم وهو أن الركض وراء الأمن المطلق قد انتهى بإسرائيل إلى بناء فخ استنزاف مدمر، سيكون الخروج منه أصعب بكثير من التورط فيه.

المراجع

1. Al-Monitor Staff. "Israel Expands Ground Operation beyond Yellow Line in South Lebanon as Clashes Intensify." Al-Monitor. Al-Monitor, May 14, 2026. https://www.al-monitor.com/originals/2026/05/israel-expands-ground-operation-beyond-yellow-line-south-lebanon-clashes.
2. Alma Research and Education Center. "Special Report: Hezbollah's FPV Explosive Drone Threat." Alma Research and Education Center. Alma, April 2024. https://israel-alma.org/special-report-hezbollahs-fpv-explosive-drone-threat/.
3. Arab Center Washington DC. "US Policy toward Lebanon in a Time of War." Arab Center Washington DC. Arab Center Washington DC, March 2026. https://arabcenterdc.org/resource/us-policy-toward-lebanon-in-a-time-of-war/.
4. Armed Conflict Location & Event Data Project. "Q&A: What Do Israel's Shifting Tactics in Gaza Tell Us about What's Ahead?" ACLED. ACLED, February 15, 2024. https://acleddata.com/qa/qa-what-do-israels-shifting-tactics-gaza-tell-us-about-whats-ahead.
5. Bandler, Aaron. "Israel's Security Zone in Lebanon - A Tragedy?" Middle East Quarterly. Middle East Forum, Summer 2000. https://www.meforum.org/middle-east-quarterly/israels-security-zone-in-lebanon-a-tragedy.
6. Ben-Horin, Yoav, and Barry Posen. "Israel's Strategic Doctrine." Defense Technical Information Center. RAND Corporation, September 1981. https://apps.dtic.mil/sti/tr/pdf/ADA115647.pdf.
7. Ben-Horin, Yoav, and Barry Posen. "Israel's Strategic Doctrine." RAND. RAND Corporation, September 1981. https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/reports/2007/R2845.pdf.
8. Central Intelligence Agency. "Southern Lebanon: A Geographic Perspective on the Israeli Security Zone." CIA FOIA Reading Room. Central Intelligence Agency, March 1985. https://www.cia.gov/readingroom/docs/CIA-RDP87T01127R000300240004-5.pdf.
9. Danchev, Alex. "Buffer Zones: Anachronism, Power Vacuum, or Confidence Builder?" Review of International Studies. Cambridge University Press, 1996. https://www.cambridge.org/core/journals/review-of-international-studies/article/buffer-zones-anachronism-power-vacuum-or-confidence-builder/0382BCBB92E42BB6D6021491859C4790.
10. Dohainstitute. "Detection, Neutralization, and Destruction: The Limits of Israel's Strategy against Gaza's Tunnels." Arab Center for Research and Policy Studies. Doha Institute, 2017. https://www.dohainstitute.org/en/ResearchAndStudies/Pages/detection-neutralization-and-destruction-the-limits-of-israels-strategy-against-gazas-tunnels.aspx.
11. Eizenkot, Gadi. "Israel Defense Forces Strategy Document." Belfer Center for Science and International Affairs. Harvard Kennedy School Belfer Center, December 15, 2024. https://www.belfercenter.org/research-analysis/israel-defense-forces-strategy-document.

12. Federman, Josef. "As Israel Advances on a Syrian Buffer Zone, It Sees Peril and Opportunity." AP News. The Associated Press, March 25, 2024. https://www.ap.org/news-highlights/spotlights/2024/as-israel-advances-on-a-syrian-buffer-zone-it-sees-peril-and-opportunity/.

13. Federman, Josef. "How a Narrow Strip of Scrubland Has Become an Obstacle to a Cease-Fire in Gaza." AP News. The Associated Press, May 28, 2024. https://apnews.com/article/israel-palestinians-hamas-war-egypt-philadelphi-corridor-cd15c27cecffe70322becd933cf38909.

14. Goren, Nimrod. "The Futility of Buffer Zones in International Politics." Modern War Institute. United States Military Academy at West Point, April 18, 2017. https://mwi.westpoint.edu/the-futility-of-buffer-zones-in-international-politics/.

15. Harkov, Lahav. "Israel and Lebanon Agree to Renew Truce, Create 'Pilot' Zones Where Hezbollah Is Banned." The Times of Israel. The Times of Israel, May 30, 2026. https://www.timesofisrael.com/israel-lebanon-agree-to-renew-truce-create-pilot-zones-where-hezbollah-is-banned/.

16. Inbar, Efraim. "Israel's Presence on the Golan Heights: A Strategic Necessity." JISS. Jerusalem Institute for Strategy and Security, March 12, 2019. https://jiss.org.il/en/inbar-israels-presence-on-the-golan-heights-a-strategic-necessity/.

17. International Commission of Jurists. "Lebanon: Israel Must Immediately Stop Using Unlawful Mass Displacement Orders and Inflicting Terror on Civilians." ICJ. International Commission of Jurists, March 7, 2024. https://www.icj.org/lebanon-israel-must-immediately-stop-using-unlawful-mass-displacement-orders-and-inflicting-terror-on-civilians-1/.

18. Jerusalem Center for Foreign Affairs. "Hizbullah Waging War of Attrition Against IDF in Lebanon." Jerusalem Center for Foreign Affairs. Jerusalem Center for Public Affairs, March 19, 2024. https://jcfa.org/hizbullah-waging-war-of-attrition-against-idf-in-lebanon/.

19. Jewish Virtual Library. "Israel Military Intelligence: Intelligence during Yom Kippur War (1973)." Jewish Virtual Library. American-Israeli Cooperative Enterprise, 2017. https://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/History/intel73.html.

20. Joffre, Tzvi. "IDF Fears Hezbollah Long-Distance Drones Could Hit Northern Israel, Haifa." The Jerusalem Post. The Jerusalem Post, May 19, 2026. https://www.jpost.com/middle-east/article-898114.

21. Katz, Eyal. "Rafah, Netzarim, Philadelphi: IDF Broke Hamas with Smart Corridor Control | Why Israel Won't Withdraw." YouTube. My Israel, April 20, 2024. https://www.youtube.com/watch?v=uffcLw88GWA.

22. Katz, Yael. "Between Here and There: Buffer Zones in International Law." University of Chicago Law Review. University of Chicago Law School, 2017. https://lawreview.uchicago.edu/sites/default/files/07%20Katz_CMT_Final.pdf.

23. Khalil, Samy. "Why Is Israel Demanding Control over 2 Gaza Corridors in the Cease-Fire Talks?" AP News. The Associated Press, March 18, 2024. https://www.ap.org/news-highlights/spotlights/2024/why-is-israel-demanding-control-over-2-gaza-corridors-in-the-cease-fire-talks/.

24. Lederer, David. "An Israeli 'Buffer Zone' Could Shape Gaza's Post-War Reality." Jewish Currents. Jewish Currents, January 23, 2024. https://jewishcurrents.org/an-israeli-buffer-zone-could-shape-gazas-post-war-reality.

25. Milshtein, Michael. "Israel's Gaza Ground Invasion and the Return of 'Strategic Depth'." War on the Rocks. War on the Rocks, November 7, 2023. https://warontherocks.com/israels-gaza-ground-invasion-and-the-return-of-strategic-depth/.

26. National Museum of the Marine Corps. "The War along the DMZ." National Museum of the Marine Corps. United States Marine Corps, 2017. https://www.usmcmuseum.com/uploads/6/0/3/6/60364049/war_along_the_dmz.pdf.

27. Ofer, Amos. "Enigma: The Anatomy of Israel's Intelligence Failure Almost 45 Years Ago." Brookings. Brookings Institution, October 5, 2018. https://www.brookings.edu/articles/enigma-the-anatomy-of-israels-intelligence-failure-almost-45-years-ago/.

28. PBS NewsHour. "Understanding Hamas' Tunnel Network, How It Complicates Israel's Invasion." YouTube. PBS NewsHour, November 2023. https://www.youtube.com/watch?v=1739rAG2a4k.

29. ReliefWeb. "The Situation in Israel and Gaza: Legal Analysis by Eminent Professors." ReliefWeb. United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs, November 2023. https://reliefweb.int/report/occupied-palestinian-territory/situation-israel-and-gaza-legal-analysis-eminent-professors.

30. Security Council Report. "Lebanon, March 2026 Monthly Forecast." Security Council Report. Security Council Report, March 1, 2026. https://www.securitycouncilreport.org/monthly-forecast/2026-03/lebanon-37.php.

31. Security Council Report. "UNDOF (Golan), October 2025 Monthly Forecast." Security Council Report. Security Council Report, October 1, 2025. https://www.securitycouncilreport.org/monthly-forecast/2025-10/undof-golan-10.php.

32. Tokmajyan, Armenak. "Israel's Ring of Buffer Zones." Diwan. Carnegie Endowment for International Peace, December 4, 2025. https://carnegieendowment.org/middle-east/diwan/2025/12/israels-ring-of-buffer-zones.

33. United Nations. "Gaza 'Buffer Zone' Possible War Crime: UN Human Rights Chief." UN News. United Nations, February 9, 2024. https://news.un.org/en/story/2024/02/1146352.

34. United Nations. "What's UNDOF? Why UN Peacekeepers Patrol the Israel-Syria Border." UN News. United Nations, January 31, 2025. https://news.un.org/en/story/2025/01/1159451.

35. Veterans Breakfast Club. "McNamara's Line: Lesson in Limits of Technology from Vietnam War." Veterans Breakfast Club. Veterans Breakfast Club, November 10, 2020. https://veteransbreakfastclub.org/mcnamaras-line-the-limits-of-high-technology-in-the-vietnam-war/.

36. Weiss, Joe Truzman. "Israeli Forces Face Challenges as Hezbollah Ramps Up Use of FPV Drones." FDD's Long War Journal. Foundation for Defense of Democracies, May 23, 2026. https://www.longwarjournal.org/archives/2026/05/israeli-forces-face-challenges-as-hezbollah-ramps-up-use-of-fpv-drones.php.

مركز الحبتور للأبحاث

تقديرات استراتيجية

عن المركز

يسعى مركز الحبتور للأبحاث إلى أن يكون مركزًا رائدًا للتميز في الدراسات السياسية والاقتصادية والإنذار المبكر في المنطقة، وتتمثل رؤيتنا في تعزيز السياسات وصنع القرارات المستنيرة المبنية على الأدلة التي تُعزز التنمية المستدامة، وتقوي المؤسسات، وتعزز السلام والاستقرار الإقليميين. نحن ملتزمون بتقديم حلول مبتكرة للتحديات الأكثر إلحاحًا في المنطقة من خلال البحث والتحليل والحوار.

تقديرات استراتيجية

إصدار غير دوري يصدر عن مركز الحبتور للأبحاث، يقدم تحليلاً معمقًا وتقييمًا مستقبليًا للقضايا السياسية والاقتصادية الإقليمية والدولية ذات التأثير الاستراتيجي على المنطقة العربية والعالم. بهدف تزويد صناع القرار والباحثين والمهتمين برؤية مستنيرة حول التطورات والتحديات والفرص الناشئة.